هادي العلوي

فواتح الاصطلاح

فيما يلي مقدمة الجزء الثالث من سلسلة المعجم العربي المعاصر التي ألّفها هادي العلوي، وصدر منها حتى الآن جزءان: قاموس الإنسان والمجتمع وقاموس الدولة والاقتصاد (١٩٩٧). والجزء الثالث، وعنوانُه: قاموس العلوم والصناعات، ما زال قيد الطبع.

والآداب التي يسعدها أن تنشر مقدمة العلوي هذه، يهمّها أن تشير إلى خلافها مع بعضِ اقتراحات المؤلف، ولاسيّما في الإملاء ورفض التشكيل وبعض الاستنتاجات اللغوية الخاصّة بالنسبة إلى الجمع، ولفظِ بعض الكلمات الإنجليزية، وغير ذلك.

بحثنا في مقدمات **المعجم العربي المعاصر** التي نُشرتْ مع **قاموس الإنسان والمجتمع** ـ الجزء الأول[1] ـ ما يتعلق بتكوين المصطلحات العلمية والصناعية، لنوفّر مرجعاً لذوي العلاقة في معالجة ما يستجدّ في حقول اختصاصهم. ونتحدث هنا عن تفاصيلِ بعضِ ما أجملناه هناك مع إضافة أمور من متعلقات المعاجم الاصطلاحية ولغة المصطلح في الإنجليزية وما يراد له من مقابل في العربية. وقد نوّهنا بما أنجزته الأوساطُ العلمية واللغوية من خطواتٍ في طريق تكوين لغة العلم، وما اعتلق بها من عيوب نريد أن يتبرأ منها العملُ المعجميُّ لإقامة لغة العلم على قواعد أتمَّ صلاحاً ـ ولا نقول صالحة، لأنّ ما أنجزته المعاجم الاختصاصية حتى الآن جاء صالحاً وملبياً للمطلوب لولا أن يشوبه بعضُ الخلل المانع من استكماله والحاسم لشكوى المعنيين من طلاب العلم والتكنولوجيا مما يجدونه في بعض المصطلحات من تفاصح يُبْعدها عن مذاق اللغة السائد أو من افتقار إلى شروط المصطلح المفرد، وذلك حين تلجأ المعاجم إلى شرح المصطلح الأجنبي بعبارة ولا تضع له المقابل الصالح للاستعمال، مع أن المعاجم لا تراد لشرح المصطلح الأجنبي بل لإيجاد المقابل العربي الذي يدخل في قاموس اللغة المتداولة.

وأجد من المفيد أن أنبّه طلابنا واختصاصيينا إلى ما كشفَتْه لي المراجعةُ المتطاولةُ للمعاجم الاصطلاحية الإنجليزية، إذ طالما وقفوا أمام المصطلح الإنجليزي وقفةَ المشدوه أمام هذا السر في استيعاب لغة الإنجليز لكل هذه الفتوحات الاسكندرية أو العمرية في أقاليم العلوم والصناعات وكيف تم لها ذلك؟ ولماذا لم تقف عاجزة أمامه وهي في أصلها لغة صغيرة لشعب صغير عاش في جزيرة كانت لا تزال تحمل مخلّفات العصر الحجري حين غزاها وليم الفاتح عام ١٠٦٦ م؟

وكان من الطبيعي لمن لا يملك عمقاً حضارياً وثقافياً أن يتصرف ـ وهو يقتحم آفاق المعرفة الجديدة عليه ـ بحرية تَضْمن له تذليلَ اللغة لمستجداته التي تفوق حجمَ اللغة الأصلي أضعافاً مضاعفة. وقد أخذ الإنجليز من اليونانية

١ ـ يُراجع هادي العلوي: **المعجم العربي المعاصر**، الجزء الأول (بيروت: دار الكنوز الأدبيّة، ١٩٩٧).

واللاتينية عمود المصطلح الأرأس، لا لأنهما سبقتا الإنجليزية في استيعاب المعارف العلمية فحسب بل لأنّهما سهّلتا عليهم أيضاً تكوينَ المصطلحات المركبة والمنحوتة بفضل طواعية المفردة فيهما للنحت والتركيب. ومثال ذلك لفظُ Photo وهو الضوء في اليونانية؛ فمقابله الإنجليزي Light لم يستعمله الإنجليز في تركيب المصطلحات ذاتِ الصلة لأنّ تركيب اللاتيني الصائت أَمْيَلُ إلى الاندماج بغيره من الإنجليزي الصامت، بل قالوا Photograph للتصوير ولم يقولوا Light Record لأنّ الأوّل أكثر اندماجاً. ومن ذلك أيضاً Logy: من Logos اليونانية بمعنى العقل والمعرفة؛ فقد استعمله الإنجليز لتسمية جملة واسعة من العلوم لأنه يقبل الاندماج أكثر مما يقبله لفظ Science الإنجليزي. وقالوا Biology ولم يقولوا Science of Life لأنّ الأول يصبح باندماجه كلمة واحدة تقبل التصريف فيقال Biologist وBiological، في حين أنّ الثاني غير مندمج ولا يقبل التصريف. واستُعملت اللاتينيةُ واليونانيةُ لتعويض النقص في القاموس الإنجليزي بتسمية الكثير من المستجدات بأسماء مأخوذةٍ من إحدى اللغتين لانعدام المقابل في الإنجليزية. لكنّ ذلك لم يكن كافياً، فراغ الإنجليزُ إلى التوليد وهو نقلُ مفردةٍ قاموسية من معناها الأصلي إلى معنى مستجد بقرينةِ شَبَهٍ في الدلالة بين المعنيين؛ ومثاله في الإنجليزية Electric للكهرباء، فقد أُخذ من اليوناني Electron ويعني الكهرب وهو المركّب المعروف بخاصية الجذب بعد الدلك، ثم أُطلقَ على الظاهرة الكهربائية بعد اكتشافها بقرينة الجذب الناتج عن ذلك. وبالقرينة نفسها استَعْملت العربيةُ الحديثةُ «كهرباء» للظاهرة نفسها.

لكنّ الإنجليز لم يتقيدوا بالقرينة لأنّ قاموسهم الأصلي لا يفي بالمستجدّ كلّه لو جرى التوليدُ ضمن هذا القيد. ونقف هنا على ظاهرتين لغويتين: الأولى هي التوسع في تحميل المفردة الواحدة دلالاتٍ متعددةً على جهة المجانسة أو الاشتراك. وهي موجودة في جميع اللغات، لكنها في الإنجليزية الحديثة أوسع مدى؛ فالمفردة الواحدة فيها قد تتفرع إلى مئة معنى تُستعمل في مئة مجال. وقد يتساءل المرء كيف يمكن للفرد الإنجليزي أن يفهم المقصود من كلمة تحمل مثل ذلك العدد من المعاني حتى في السياق، ولاسيما أنّ هذا التعدد في الدلالات يقع في النسبة الغالبة من المفردات؟ وأنا لم أطّلع على المشكلات التي يمكن أن تكون طرأتْ بسبب ذلك ولعلها تفسِّر تلك الوصيةَ ـ النكتةَ التي رُويتْ عن برناردشو بإيقاف تَرِكَتِهِ الكبيرة لإصلاح اللغة الإنجليزية. لكن من الواضح أنها لم تسبِّب مشكلات جديةً لأنّ دلالات المفردة الواحدة موزّعة غالباً على فروع الاختصاص حيث تفهمها كلُّ فئةٍ في دائرة استعمالها تلك الدلالة. ولو أنها استُعْمِلتْ بهذه الدلالات في لغة الحياة العامة لسبَّبَت الكثيرَ من الارتباك.

الظاهرة الثانية هي التوليد الاعتباطي للمصطلح، إذ تنعدم أيةُ علاقة للمعنى المولَّد في مصطلح مّا مع المعنى الأصلي للمفردة، ولا يبرر هذه الظاهرةَ سوى الافتئاتِ البالغ حدودَ الاستهتار. فقد وُظِّفت الحيواناتُ لمصطلحاتٍ صناعيةٍ وقضائيةٍ ونووية، من غير أيّ اعتبار للقرينة بين الحيوان واستعمالاته المحلِّقة في آفاق العلوم المتعالية. ومن المعروف أنّ المفاعلات النووية هي من أحدث وأعقد ما توصل إليه العقل في مضمار العلم والصناعة الذريّيْن. وفي صميم هذا الأفق العالي يَدْخل «الأرنب» كمصطلح ذري حين يُطلَقُ Rabbit على الصحن الذي يستقبل الإشعاعات الذرية. وقد بحثتُ في المعاجم الاشتقاقية الإنجليزية عن معنى أو دلالة لـRabbit غير الأرنب يمكن أن تكون وراء إدخاله في المفاعل الذري فلم أجد! واستُعملتْ حيواناتٌ، بعضُها مقزِّز، في مصطلحات الحاسوب (الكمبيوتر) والمصطلحات الصناعية: فالفار Mouse مصطلح أساسي في جهاز الكمبيوتر، والدودة Worm دخلتْ في جملة من أسماء الآلات؛ وكذلك الخنزير والتمساح والسمكة والضفدع وغيرها. وقد أخذوا من الكبش Ram اثنين وعشرين مصطلحاً، منها ثلاثةٌ للطيران. ودخلت الصَدَفَة Shield في الكيمياء والفيزياء والعمارة وصناعة النفط والسلاح والمغناطيس والكهرباء.. واستعمل السلطعون (أبو الجنّيب) في الطيران.

وقد يخيّل للباحث وهو يتابع هذه التكونات الاعتباطية للمصطلح العلميّ والتكنولوجيّ أنّ بعضها من وضع السكارى. لكنّ تقريراً قدّمه وزيرُ المشاريع الهندسية في حكومة المحافظين لمجلس العموم سنة ١٩٨٠ قد يلقي الضوء على بعض أسرار هذا الافتئات اللغوي عند الإنجليز. فقد شكا التقرير من أمية المهندسين البريطانيين، وقال إنه من النادر أن نعثر على مهندس يحسن كتابةَ تقرير علمي بلغة إنجليزية سليمة. والمصطلحات يضعها أصحابُ الاختصاص أنفسهم دون الرجوع إلى دُور الإفتاء اللغوية؛ ولعلنا نجد في هذا بعضَ ما يفسِّر عدم دقة المصطلح الإنجليزي من جهة عدم المطابقة بين المعنى الأصلي والدلالة المولَّدة. لكنه أيضاً دليلٌ على أنّ مبنى اللغات على الاستعمال إنما درج بين أهله من مفردات يكتسب دلالته المطابقة للمقصود عندهم بصرف النظر عن اعتباطية العلاقة بين الأصل والمولَّد.

ومن هذه الجهة لا بدّ للمشتغلين في هذه الحقول من أصحابنا أن يقلّلوا من ارتياعهم أمام لغة العلم الإنجليزية وتعاملِهِمْ معها بطريقةٍ إيمانية مبالغ فيها. والإيمان سببُه الجهلُ بمصدر المعتقد وحيثياته الجوهرية. فالمصطلح الإنجليزي ليس وحياً سماوياً ولا هو ظاهرة جوهرية من

ظواهر الأشياء، بل هو الشكل الذي يُعبَّر به عن الظاهرة. ويتيح لنا فهمُ هذه الحقيقة أن نتخلَّص أولاً من الرُهاب اللغوي في التعامل مع لغات الغربيين[1]؛ ويتيح لنا ثانياً ـ وهو الأهم ـ أن نجعل من الإنجليز أسوةً لنا في استسهال سيرورة الاصطلاح. وأنا لا أدعو على أيّ حال إلى إدخال الفئران والضفادع في مصطلحاتنا العلمية، بل إلى التساهل في وضع المصطلح وعدم التدقيق الزائد، ذلك التدقيق الناتج عن تصورنا للدقة الفائقة في المصطلح الغربي وسعينا من ثم لمجاراته. والحقيقة أننا نستطيع مجاراته في السهولة والارتجال والاعتباطية، لا في دقته المتوهَّمة.

* * *

ذكرنا أنّ مؤلفي المعاجم الثنائية كثيراً ما يترجمون المصطلح الأجنبي إلى عبارة. ومن هنا يأتي افتقارُ المعاجم الاصطلاحية إلى المصطلح المفرد الصالح للاستعمال في نسبة كبيرة من مداخلها. ومن أسباب ذلك رُهابُهم أمام المصطلح الإنجليزي؛ فهو يحملهم على شرح المصطلح وعدم المجازفة بوضع المقابل الحرفي له. وهو شأنهم مع فئتين من المصطلحات الأجنبية: المصطلح المولَّد من مفردة مشتركة (كشكولية)، والمصطلح الاعتباطي، فيلوذون بالشرح ليتخلصوا من مغبة مجاراته في مصطلحاتهم.

اللغة العربية، شأن شقيقاتها الساميات، لغةٌ اشتقاقية في المقام الأول. واللغات الغربية لغات تركيبية في المقام الأول. ولكلٍّ من الاشتقاق والتركيب مزاياه. وقد استفاد عربُ الإسلام من اشتقاقية العربية لإنشاء لغة العلم التي استوفتْ مباحثهم في فروع المعرفة العلمية المختلفة، بينما استفاد الغربيون من تركيبية لغاتهم لهذا الغرض.

ولعلّ الصينيين هم الأكثر نجاحاً في تذليل اللغة للعلوم لأنّ لغتهم تركيبيةٌ مقطعية. فالجذر الصيني مختزل من أصله، أصغره حرفٌ واحد بحركة خفيفة نحو: ص (صاد مع كسرة)، والأكبرُ مقطعٌ طويل ولكنْ لا يزيد على تفعيلة واحدة في العربية أو الانجليزية، نحو «تشوان» أو «ليان» أو «هْوان». وبفضل هذا الاختزال القائم في الجذر تتقبل المقاطعُ الصينيةُ الاندماجَ لتشكيل مصطلحاتٍ تبقى مهما تعددتْ مقاطعُها أقصرَ من مقابلاتها العربية أو الغربية. مثال ذلك: تشي ـ تشه، مقابل «سيارة» العربية و Motor-Car الإنجليزية. وهي أقصر منها، وتركيبها كتركيب الإنجليزية: عربة ـ بخار. وقد وُجد النحتُ والتركيب في العربية، وأجازه اليومَ «مجمعُ القاهرة»، وتوسع فيه قاموسُ **المورد** فوفَّق في مقام وأخفق في مقام. وتوفيقه هو في منحوتات سائغة مثل: «زموهة» (إزالة الماء)، و«زملحة» (إزالة الملح). وأما إخفاقه فهو في تطبيق القاعدة دون النظر إلى صلاحية اللفظ المنحوت أو المركب مثل: «فوطبيعي» نحتاً، والسائغ «فوقْ طبيعي» تركيباً بتسكين القاف؛ وإنما حمل **المورد** على النحت خوفُ التسكين.

وأمامنا عقبةٌ دون التوسع في التركيب هي ال التعريف التي تدخل على الصفة والموصوف فتمنع اندماجهما. وقد تيسَّر ذلك للّغاتِ السّامية القديمة لخلوّها من أداة التعريف فركّبوا: «باب أيلول» لتصبح في العربية «بابل»، و«كرب ايلو» لتصبح في العربية «كربلا»، و«أربع ايلو» لتصبح في العربية «أربيل». ولو قلنا: «باب اللّه» و«قرب اللّه» و«الأربع آلهة» لامتنع التركيب. إنّ وجود أداة التعريف في العربية والعبرية هو من نتائج تطوّر اللغات السامية لأنّ التعريف يَظهر عادة في مرحلة نموّ عقلي تتجاوز به اللغةُ طورَ السذاجة الأول. ووجود التعريف في اللغة لازم للتمييز بين مكوِّنات العبارة وتقنينِ دلالاتها. لكنّ في التعريف العبري والعربي عيباً ناشئاً من تكرار الأداة في الصفة والموصوف، نحو: «اللغة العبرية أو: هاشفة ها عبري»، ودخولها أيضاً على المضاف إليه نحو:

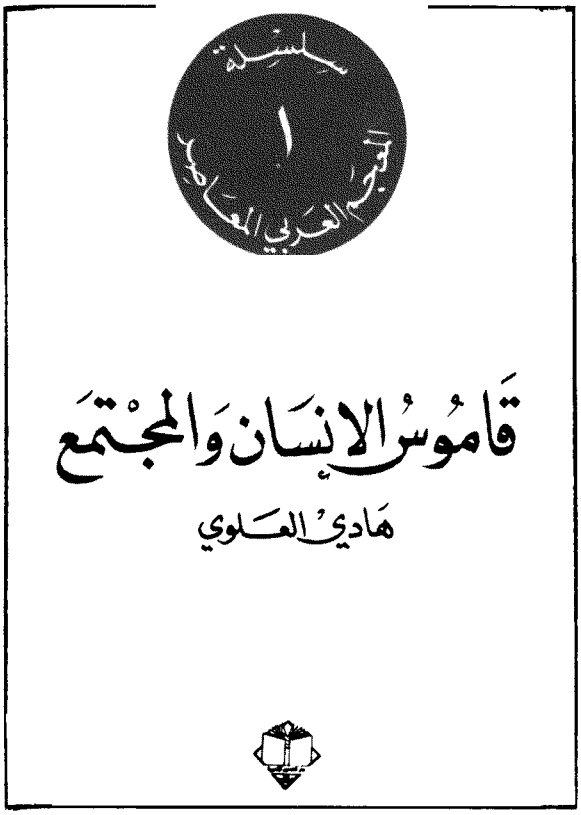

١ ـ بلغ الرهابُ ببعض اختصاصيينا إلى حد القول إننا لا نستطيع أن نقول «رصاص» و«حديد» و«نحاس» في الكيمياء، بل نقول Lead وIron وCopper لأنّ الأسماء العربية يستعملها الحدّادون والصفّارون واللحّامون، وقد توهّم أولئك الاختصاصيّون أن Lead وIron وCopper هي من وضع الكيمياويين بعد اكتشاف العناصر؛ واختصاصيونا لا يفقهون شيئاً من أصول اللغات لقلة بضاعتهم من الثقافة شأنهم في ذلك شأن أساتذتهم الغربيين.

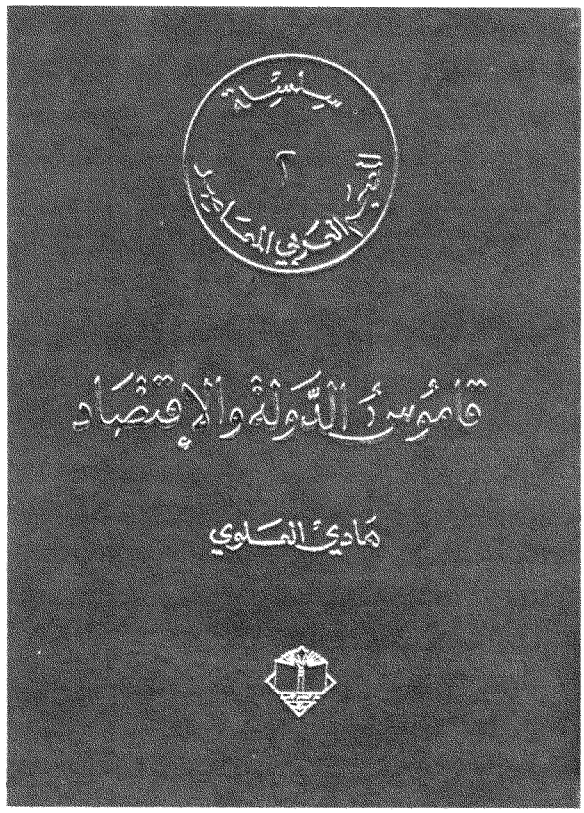

«رد الفعل» مقابل Re-Action. وقد تجاوز العامةُ هذا الإشكال في مفردات حذفوا ال التعريف المعترضةَ بين طرفيها، فقالوا في بلاد الشام «العرق سوس» بدل «عرق السوس»، وقال العراقيون «النومي بصرة» بدل «نومي (ليمون) البصرة».

من خصائص الاصطلاح الإنجليزي شدةُ الاختصار، لضغط المصطلح في كلمتين على الأغلب. ولا تراعى المفهوميةُ في الاختصار، بل إيجادُ مصطلح سهلِ الاستعمال. وكثيراً ما يكون الاختزالُ ابتساراً للمصطلح يجعل فهمَ مضمونه عسيراً لولا تداوله في محيط الاختصاص الضيق. وهذه بعض الأمثلة:

١ ـــ Planetary Transmission ويعني حرفياً: «نقل كوكبي». ومعناه: نقل الحركة بتروسٍ كوكبية. وبالصيغة الانجليزية: Planetary Gear Transmission.

٢ ـ Cone Drive ويعني حرفياً: «إدارة مخروطية». ومعناه: إدارة بالسير بين دارتين متدرجتي القطرين. وصيغته الإنكليزية: Belt Drive Between Two Gradual Diameter Circuits.

٣ ـــ Cooling Coils ويعني حرفياً: «ملفات تبريد». والمعنى: أنابيب ملتفة للتبريد. وصيغته الإنجليزية: Cooling Coiled Pipes.

٤ ـــ Nautical Log ويعني حرفياً: «مقياس ملاحي»، ومعناه: جهاز لقياس سرعة السفن. وصيغته الإنجليزية المفترضة: Ship Speed Measuring Log.

٥ ـــ Pace Maker ويعني حرفياً: «صانع الخطوة»، وبالصيغة العامية: «أبو الخطوة». ويُستعمل في معنيين: أداة تحديد سرعة التفاعل في الكيمياء؛ وفاحص لتسجيل نبضات خطوات القلب من بعيد. المعنى الأول تؤديه العبارة: Reaction Speed Gauge؛ وأما الثاني فتؤديه العبارة: Heart Pulse Remote Recorder(...).

ومن وسائل تكوين المصطلح الإنجليزي استعمالُ أسماء شخصيات علمية أو أسطورية أو تاريخية. وقد دخلتْ أسماءُ العلماء والمخترعين في الاصطلاح على نطاق واسع مثل: «واط»، «فولط»، «داين»، «أمپير»، «پاستور»، «ماكسويل».. ولا شك أنّ العرب لو بادروا إلى دخول عالم العلم والصناعة لقرأنا مصطلحات مثل: «أحمد»، و«عصام»، و«ليلى».. الخ. ومن المصطلحات الإنجليزية الظريفة: Goliath Crane، لـ«الرافعة العملاقة»، وهو مأخوذ من اسم البطل الكنعاني جالوت الذي تُصوِّره الأساطيرُ التوراتيةُ عملاقاً متجبراً. لكنّ الإنجليز يشتطون في التسمية المرتجلة دون مراعاةٍ ذوقٍ أو خلق. ومثلما استعملوا أسماء حيواناتٍ مقززةٍ في الاصطلاح لم يجدوا بأساً في توظيف أسماء أشخاص مكروهين. ومن ذلك Derrick، وهو اسم جلاّد مشهور في بريطانيا وفرنسا في القرن السابع عشر، أُطلق اسمُه على البرج الذي يُنصب على بئر النفط؛ وقرينة التسمية مشابَهَةُ البرج للمقصلة أو المشنقة؛ وهذه غاية في التوحش وقلة الذوق!

ولضغط المصطلح وتكثيفه يحذف الإنجليز الأدوات من حرف الجر والإضافة والظروف. مثال ذلك Grid Filament Capacitance، وتعني «السعة بين المصبّعة والفتيلة»؛ فقد حُذِفَتْ «بين»، لدمج المصطلح وتكثيفه.

المفردة الإنجليزية، كما بينتُ آنفاً، كشكوليَّةٌ في الغالب، وقد تصل معاني المفردة الواحدة العامة والاصطلاحية إلى الخمسين أو المئة؛ وهذا لمحدودية القاموس الإنجليزي الأصلي. لكن المفردة قد يستعملها أهلُ الاختصاص كلٌّ في مجال اختصاصه من غير تنسيق مع الآخرين. ولعلّ هذا ما يفسر أن تُستعمل مفردةٌ واحدةٌ للطيران وللخبز من غير أن يدري الطيارُ والخباز واحدُهُما بالآخر. وقد أجريتُ استقصاءات أثناء إقامتي في بريطانيا وأثناء عملي في الصين مع أفراد من الناطقين بالإنجليزية، فوجدتُ أنّ ما يعرفه مختصٌّ يجهله مختصٌّ آخر في مجاله المقابل. ويدخل في عداد الكشكلة تماثلُ لفظ بعضِ المفردات وتمايُزها في الكتابة فقط مثل Low و Law؛ أو Write, Right, Rite, Wright؛ أو Saw وSo والأولى للمنشار والرؤية، والثانية معناها: هكذا.

وهذه في الحقيقة لفظةٌ واحدةٌ ميَّزوها بالكتابة دون النطق؛ فهي من المشتركات (الكلمات الكشكولية). وبالمناسبة فإنّ المعاجم العربية، قديمَها وحديثَها، تتضمن الكثيرَ من

الكلمات الكشكولية التي تزيد معانيها على الثلاثة وقد تصل إلى العشرة. إلا أنّ معظمها من افتعال اللغويين لإظهار براعاتهم وإمعانهم في الاستقصاء. والجملةُ الغالبة من المعاني التي تَرِدُ عندهم غيرُ مستعملة لا عند القدماء ولا عند المعاصرين. وبخلاف الإنجليزية، تتشابه في العربية كتابةُ الكثير من المفردات ما لم تميِّز بالتشكيل ويتباين نطقها نحو: «ذهب»، لفعل الذهاب وللمعدن النفيس المعروف. وسنتحدث عن معالجتنا لها فيما بعد.

عيوب الاصطلاح

١ ـ ترجمة المصطلح إلى عبارة. وكثيراً ما تؤدي الهيبةُ أمام المصطلح الإنجليزي إلى التحرج من وضع المقابل العربي الصالح للاستعمال؛ وهي هيبةٌ لا مبرر لها أمام اعتباطية المصطلح الإنجليزي. ولنأخذ هذا المثال Cone Drive حرفياً: «إدارة مخروطية» وهو من أبواب الهندسة الميكانيكية، وتترجمه المعاجم إلى: «إدارة بالسير بين دارتين متدرجَتَي القطرين». وغنيٌ عن البيان أنّ المتخصص العربي لن يستفيد شيئاً من هذه الترجمة سوى معرفة معنى المصطلح الإنجليزي، فإذا أراد أن يعبِّر عنه في بحثٍ أو تقرير عملي تعذَّرتْ عليه كتابةُ التقرير. إنّ المصطلح الأصلي مبني على الاختزال الشديد، وهو بهذا الاختزال مجهولُ المعنى عند عامة الناس وأهلِ الاختصاص من الفروع الأخرى، إلا أنه معلومُ المعنى عند المهندس الميكانيكي. وبغير هذا الاختزال سيكون من المستحيل على المهندس الناطق بالإنجليزية كتابةُ تقرير أو تقويمُ محاضرةٍ لطلابه عن الموضوع، لأنه سيضطر عندئذ إلى أن يردّد عشرات المرات في بضع صفحات هذه الجملة المطولة:

Drive By Belt Between Two Gradient Drums

(...) إنّ ترجمة المصطلح إلى عبارة تشغل أكثرَ من نصف المعاجم الاصطلاحية، فتجعلها غير صالحةٍ عملياً لكتابة بحثٍ علمي أو تدريس موضوع الاختصاص باللغة العربية. وهي العيب الأكبر في هذه المعاجم.

٢ ـ وتتعامل المعاجم الاصطلاحية مع المصطلح العلمي وفقاً لأصول اللغة الجاهلية من غير أن تعطي أدنى اهتمام للمذاق اللغوي السائد. لنقرأ هذه المصطلحات: عامل تحويل القُطُر، السوق، تبلُّر، حَلَقي، صدمة رجعية، صمام رجعي.

ماذا تفهم من «عامل تحويل القُطُر»؟ أنا لولا معرفتي الاختصاصية باللغة لما فهمتُ أنّ المقصود هو القطارات، جمع قطار. فماذا سيفهم منها عاملُ القطار أو مديرُه أو المهندسُ الفني؟

و«السوق» يُفهم منها محل البيع والشراء، لكنّ مقصود المعاجم هو: السيقان. والتبلّر؟ اذكر أنّ مدرس الكيمياء في الثانوي جاء إلى بحث التبلور فقال: «التبلور، والمتحور بقول تبلر»، ولا شك أنّ المهندسين لن يفهموا مقصود المعاجم من التبلر.

و«الحَلْقيُّ» نسبةٌ إلى الحَلق والحلقوم. لكنّ مراد المعاجم هو النسبة إلى الحلقة وهي ساكنةُ اللام وتتحرك لامُها في الجمع فتكون: «حَلَق». غير أنّ النسبة إلى الجمع محرَّمة عند اللغويين فتضطر المعاجم إلى تسكينها على جهة النسبة إلى الحلقة. والغاية من المعاجم عند اللغويين هي مطابقة القاعدة الاجتهادية لا مطابقة المعنى أو مفهومية اللفظ.

أما «الصدمة الرجعية» فهي مصطلح سياسي، لكنها هنا تعني صدمة ارتدادية أو صدمة راجعة. وهكذا «الصمام الرجعي»، فهو كالحاكم الرجعي والمثقف الرجعي خلاف التقدمي. وتحت تأثير المجاراة، العفوية أحياناً، تنسى المعاجمُ الثنائيةُ مفرداتٍ عربيةً مستقرّة فتترجم مقابلاتها الإنجليزية إلى عبارة، فتقول مثلاً: «حطب الوقود» مقابل Firewood وتنسى أن «الحطب» هو للوقود لا للأكل! وليس في الإنجليزية مقابل للحطب فيركّبونه من كلمتين: «خشب» و«نار». وليس في الإنجليزية مفردة حاصرة للنفط فيستعملون Oil (زيت)، وتنسى المعاجم وجودَ «النفط» في لغتها وتترجمه إلى «زيت»!

ويفرض المعجميون تفاصحهم على المفردة الأجنبية المعربة فيحرصون على نقلها بنطقها الإنجليزي الفصيح كقولهم: «الومنيوم»، والناس يقولون «ألَمنيوم»، و«كربون» والناس يقولون «كاربون»، و«نيلون» والناس يقولون «نايلون» وهذه الأخيرة محكومة بحرمة التقاء الساكنين، ويقولون «كاميرا» والناس يقولون «كامرة» على الوزن العربي. غير أنّ المعوَّل في التعريب هو على مذاق الناس، الذين إذا نقلوا لفظاً أجنبياً أخضعوه لمخارج أو أوزان لغتهم أو أوزانها، كما مر في تعريب العراقيين Office إلى «حفيز»، وفي تعريب المصريين Vapour إلى «وابور». والناس يتعثرون بالكلمة الأجنبية ما لم تتعرب تماماً فتصبح من كلماتهم اليومية الدارجة...

وتُشيح المعاجمُ عن المصطلح الشائع إلى الترجمة بعبارة، أو إلى مقابل تشتقه، دون مبالاةٍ بما شاع واستقرّ. من ذلك ترجمة المعجميِّين Physiotherapy بـ «معالجة بالعوامل الطبيعية»، أو بـ «مداواة طبيعية». والشائع هو: «العلاج الطبيعي».

طريقة عملنا

١ ـ معالجة الكلمات الكشكولية، وهي التي لها أكثر من ثلاثة معان وقد تصل معانيها إلى الخمسين أو تزيد عليه. وفيما يخص المصطلح نأخذ هذا المثال: Tap. فمعناها

الأصلي: «يدقّ، يطرق، يخبط»، وتُستعمل في حوالي العشرين معنى اسماً وفعلاً. ومن مقابلاتها في قواميس **المورد والنبراس** والخطيب، مع تعديلاتنا وإضافاتنا، نورد القائمة التالية من معاني Tap:

حنفية، زَطْمة (للبرميل ونحوه)، سِطام (شَدّاد يوضع على فتحات المجاري والمغاسل)، نعلية (من المعدن أو الحديد لكعب الحذاء)، نقطة التفرع (نقطة من السلك الكهربائي يُشتق منها فرعٌ)، سنّانة داخلية (ذكر لولبة داخلية)، يسنِّن داخلياً (يلولب داخلياً)، يُصنبر (يركّب صنبوراً)، يفتح الصنبور، يفرّع السلك (يأخذ فرعاً من سلك كهربائي).

هذه المقابلات هي في حقل الصناعة. وتركنا استعمالات أخرى لا تعنينا في هذا القاموس. والمقابلات العربية، كما ترى، فيها الأصلي والمشتق، ودلالاتها محددة وليست اعتباطية. لكنّ بعضها مؤلفٌ من كلمتين، والمصطلح الأجود يجب أن يكون من كلمة واحدة. لكنّ هذا الخلل خفيفٌ بإزاء الاستعمالات الاعتباطية للجذر الإنجليزي. وتضبيط المفردة بالمنطق يتناسب مع الضبط المعقول للسلوك الاجتماعي وهو عندنا مضبوط بالقيم المتوارثة، مع أني لا أتبنى الضبطَ ولا القيمَ بحرفيتها! وعند الإنجليز وعامة الغربيين تبدو اعتباطيةُ المصطلحات قريناً للانفلات والفوضى في نمط الحياة الرأسمالي. وبدون ذلك لا يمكن تفسيرُ هذه الاستعمالات العشوائية للجذر Tap، أو كيف يصبح «الأرنبُ» مصطلحاً ذرياً، و«الضفدع» مصطلحاً سككياً، و«الفار» مصطلحاً حاسوبياً...

ـــ Run، أي يركض، يعدو. ويتفرع منه أكثرُ من أربعين اصطلاحاً بقرائن قريبة وبعيدة واعتباطية. ونحن نسجل هنا استعمالاته المقابلة للمفردة كما وضعتها المعاجمُ الثنائية مع إضافاتنا وتعديلاتنا: يدور (للآلة أو الجهاز)، يسيِّر (يدير الآلة أو يسوق المركبة)، يصبّ (وهو مصطلح تعديني)، يسبك (وهو مصطلح تعديني)، مصبّ (للمسبوكات)، الجولة (مدة دوران الآلة، وهي الشوط أيضاً). وباقترانها بلواحق ومفردات أخرى تؤدي نحواً من ثلاثين مصطلحاً. وهذه أمثلة من معالجتنا لها:

ترويض (تدوير أولي للماكنة أو المحرك Run-In)، مسافة الهبوط Landing Run (الكلمة هنا تؤدي معنى قريباً من الخطوة)، المشغِّل (للآلة، إزاء: Runner)، مدّادة (ممدودة، غطاء طويل، إزاء Runner)، نَعْلَجْة (أي نعل الزلاجة، لنعل معدني يُثبَت في كعب الحذاء)، بكرة دُروج، دوّار الناعورة. ولو جارينا هذه الاستعمالات التي استُهْلكتْ بها Runner لاستعملنا مقابلها الحرفي: «رَكّاض» لجميع هذه المصطلحات المتخالفة المتمايزة.

٢ ـ لعلاج المترجَم إلى عبارة صرنا إلى الاختزال على الطريقة الإنجليزية نفسها. وقد استَعْملتِ المعاجمُ هذه الطريقة، ولكنْ في حالات نادرة كما في هذه الأمثلة من معجم الخطيب:

منحنى الظل (منحنى بيان ظل الزاوية Tangent Curve)، مضخة نَبْضية (مضخة تفريغ بخارية نبضية Pulsometer Pump)، زاوية التخلف (زاوية تخلف الطور Angle of Lag).

ولو أنّ المعاجم الاختصاصية مشت على هذه الطريقة لما تعبتُ في إصدار هذا القاموس! وسنمشي عليها في جميع المصطلحات المترجمة إلى عبارة. وهذه بعض الأمثلة:

ـ أضواء المَدْرج: أضواء جانبي المَدْرج حيث تهبط الطائرة ليلاً. وقد ترجمتها المعاجمُ إلى Run Way Lights.

ـ مقياس المثاقب: مقياس لأقطار المثاقب Drill Gauge.

ـ Divided Touch تضع لها المعاجم المقابل الآتي: «المغنطة بطريقة اللمس المنفصل» وستكون في قاموسنا على الوجه التالي: اللمس المنفصل: طريقة للمغنطة Divided Touch.

ـــ Colour Killer مصطلح تلفازي، مقابله في المعاجم: «كابت الإشارات الأحادية اللون». وفي قاموسنا: كابت لوني: كابت الإشارات الأحادية اللون Colour Killer.

ومن المصطلحات الإنجليزية ما هو كناية بلاغية فتترجمها المعاجم إلى عبارة، وهي أجدر بالنقل الحرفي للحفاظ على جمالياتها. من ذلك: Flying Spot Scanning، وهو من مصطلحات التلفزة ويراد به: مسحٌ تلفزيونيٌّ بالبقعة الضوئية المتحركة. والمبنى الأصلي للمصطلح: «مسح البقعة الطائرة». وينبغي أن تثبّت كما هي.

ـــ Nearest Neighbour، وهو من مصطلحات الذرّة، ومعناه: الذرة الأقرب في النسق البلوري، ومبناه الأصلي: الجار الأقرب. وينبغي أن يثبّت كما هو.

وللأسف لا تطّرد هذه الظاهرة المستحسنة في المصطلحات الإنجليزية لضعف الثقافة الأدبية عند علمائهم ومهندسيهم.

٣ ـ ميّزنا بين المصطلحات الصناعية والتكنولوجية وبين مصطلحات العلوم، فتوسعنا في الأخذ من اللهجات في الأولى، وراعينا الفصيح في الثانية. وهذا لأنّ المشتغلين في الصناعة هم في المعتاد العمالُ والكادحون الأميون، فلا يجوز فرضُ التفاصح عليهم، ويجب اختيارُ المصطلح الذي يناسب مذاقهم اللغوي. وقد أدخلنا المصطلحات الشائعة عند الصنّاع، وقمتُ لهذا الغرض باستقصاءات شخصية من مواقع العمل. واستفدت من قواميس اللهجات بخصوص البلدان التي لم تتهيأ لي زيارتها. واشتملتْ طريقتنا في هذا الباب على الأمور التالية:

أ ـ استعمال البادئتين «أم» و«أب»، بمعنى «ذات» و«ذو»، في تسمية بعض الآلات والأدوات. وأمثلتنا على ذلك: «منشار أبو راسين»، و«طائرة أم أربع محركات».. وكنتُ في المقدمات

[الجزء الأوّل من معجم هادي العلوي] قد جعلتُها من العامي، ثم وقع بيدي **ربيعُ الأبرار** للزمخشري، المطبوع حديثاً في إيران، فرأيته يذكر في المجلد الثالث ص ٥٥: «أبو تراب»، لقب علي بن أبي طالب، و«أبو لهب» لحمرة لونه، و«أبو الذبان» لقب لعبد الملك بن مروان (ولعله من تلفيقات الشعوبيين). وهذه «الأب» هي في مقام «ذو» فكأنهم قالوا: «ذو تراب»، و«ذو لهب»، و«ذو الذبان». وقال الزمخشري: «وَسَمعتهم يكنون الكبيرَ الرأس والعمامةِ بأبي الرأس وأبي العمامة». ومن الواضح أنّ المعنى هو: ذو الرأس وذو العمامة.. وعندئذ لا تبقى حجة للغويين في إنكار فصاحة استعمال «أب» و«أم» بمعنى «ذو» و«ذات».

ب ـ يستعمل الصنّاعُ الأسماءَ والمصادرَ صفاتٍ، مثل قولهم: «ساعة ذهب، و«سلّم خشب» و«باب حديد».. وقد استعملناها في المصطلحات التي تقتضيها للوفاء بشرط المصطلح الجيد.

ج ـ يميز الصنّاعُ وعامةُ الناس في اللفظ بين المصطلحات دون مراعاة القاعدة النحوية أو القاموسية. فهم يقولون «دَرَجة» بفتح الراء للمعنى العام، ويستعملونها بالمعنى المقابل لـ Temperature فيقولون: «دَرَجْتِ الحرارة» فيدمجونها في لفظ واحد. فإذا ذكروا «درجة السلم» سكّنوا الراء فقالوا: «الدَرْجة». وبهذه الطريقة يكون فتحُ الراء في «دَرَجَة» دليلاً على المعنى الحراري، وتسكينُها دليلاً على معنى السلّم. وقد أخذنا في لفظ هذه المصطلحات بالأسلوب العامي.

د ـ يستعمل العامةُ وسيلتَيْ تصغير إلى جانب التصغير القياسي (فُعَيل)، وهما: فَعّول وفعلون. وهذه الأخيرة من العصر الإسلامي، ومنها زيدون وخلدون وحمدون. أما فَعّول فيبدو لي أنها مستحدثة، وتُستعمل في المعتاد للتدليل والتدليع كقولهم: حمّودي في محمد، وعتّوب في عتاب، وسجّودة في ساجدة.. الخ. وقد استفدنا من هذه الصيغ لتنويع أشكال التصغير أو لتصغير ما هو مصغّر في الأصل.

هـ ـ في حالات التعريب يجب أن يراعى المذاقُ اللغويُّ السائدِ، وهو مذاق الأقدمين الذين أخضعوا المفردة الأجنبية للمخارج العربية، فقالوا: «صراط» في Strada، و«فرزدق» في «برازدَهْ»، و«الصين» في «نجونغ» أو «تشين». والتعريب عند العامة يجري على النسق نفسه. وقد ذكرنا أنّ المعجميين واللغويين يتفاصحون في نقل اللفظ الأصلي للمفردة الأجنبية، وينبغي مراعاة التسهيل والتخفيف بإخضاع المفردة المعربة للمذاق العربي. ومن قبيل التفاصح قولهم: «تُرْبين»، وعامةُ الناس تميل إلى «توربين» لأنه أسهل في اللفظ، ويتحاشاه المعجميون لأنهم ينكرون الإمالة، وهي شائعة في جميع اللهجات قديماً وحديثاً. وللسبب نفسه عرّبنا الصوتَ الأجنبيَّ العديمَ المقابلِ في العربية إلى قريبه فيها، فحوّلنا حرفَ V الإنجليزي إلى ف، وحرفَ P إلى ب عدا ما شاع منه. أما الحرف G الملفوظ جيما قاهريةً فأبقيناه غالباً، لأنه مألوفٌ في العربية، وهو النطق الأصلي القديم للحرف العربي ج، وقد كتبناه غ على العادة المتبعة عند غير المصريين الذين يكتبونه بالجيم ويلفظونه على طريقتهم.

٤ ـ فصّلنا الكلام عن المطاوع في المقدمات. واخترنا في هذا القاموس الصيغَ التالية:

أ ـ فعّال: لما يقبل الفعل، مثل «ذوّاب» و«سيّال». والمصدر: «ذوّابية» و«سيّالية».

ب ـ استعمال المصدر المشتق نحو: «احتراقيّ» لما يقبل الاحتراق وحالة الاحتراقية، و«امتصاصيّ» لما يقبل الامتصاص وحالة الامتصاصية. والأمر عينه بالنسبة إلى «مصّاص» و«مصاصية»، و«ارتدادي» و«ارتداديّة».

جـ ـ واستعملنا صيغة المفعولية في مصطلحات لا تسوغ فيها الصيغتان الآنفتان مثل: «مسبوكية» لما يَقْبل السبك؛ لكن «المسبوكي» غير سائغ، ويفضّل: «قابلٌ للسبك». ومثله: «مطروقية»، ويقبل أيضاً «انطراقية»، وهو «انطراقي» و«منطرق».

د ـ ينفعل ومنفعل. نحو «ينقسم» و«منقسم»، و«ينطرق» و«منطرق». والعامة يكثرون من صيغة الفعل في هذه الدلالات فيقولون مثلاً: «ينأكل» و«ينكسر» و«ينحفظ» و«ينشرب» و«ينقال» و«ينحكي».. الخ. ويجعله المصريون بالتاء: «يِتْأَكَلْ» و«يِتْشَرَبْ».. وهذا شذوذ عن القاعدة المشتركة في اللهجات الأخرى كما في الفصيح، ولذلك استبعدناه من قاموسنا. ولمدامجة جزْئَي المصطلح لا يسوغ الفعلُ بل اسمُ الفاعل فيقال: «زجاج منكسر» و«زجاج غير منكسر» و«معدن منطرق» و«معدن غير منطرق».

هـ ـ فضّلنا في حالة المصطلح غيرِ المفردِ للقابلية أن نقول: «ممكن» بدل «قابل»، لأنّ الأولى تساعد على الاندماج، والثانية مفصولةٌ باللام. فقلنا: «ممكن السحب» بدل «قابل للسحب»، و«ممكن الرؤية» بدل «قابل للرؤية» و«ممكن القطع» بدل «قابل للقطع».. الخ.

٥ ـ حاولنا التقليل من التشكيل* لتجنب احتمالات الخطإ في وضع الحركات، واتّبعنا في ذلك السُّبل التالية:

أ ـ في اسمي الفاعل والمفعول من المضعّف أو الرباعي أو الخماسي ثبّتنا ما هو شائع في إحدى الصيغتين، وتحاشينا غير الشائع جهدَ المستطاع. مثال ذلك: «مركّب»؛ فهذا شائع في صيغة المفعولية وغيرُ شائعٍ في صيغة

---

* ـ التشكيل في هذا البحث، بمعظمه، من وضع قلم التحرير انسجاماً مع خطّة المجلة. (الآداب)

الفاعلية، فاخترنا للفاعلية «مكوِّن» أو «مكوّنة» وهما مألوفان بصيغة الفاعل دون صيغة المفعول، إذ يقال: «مركّبات» ويقال «مكوّنات». وهي تفهم هكذا مع عدم التشكيل. وإذا أعوزنا الشائعُ في صيغة الفاعل لجأنا إلى المصدر ونسبناه إلى الموصوف، فقلنا مثلاً: «خط تعزيز»، بدل «خط معزز»، لأنّ الناس يتداولون «معزِّز» على المفعولية ولا يتداولونه على الفاعلية. ومثله: «جهاز تعديل» بدل «جهاز معدِّل»، لأن المتداول هو المعدَّل على المفعولية.

ب ـ ويحدث أن يختلط المضافُ والمضافُ إليه بالصفة والموصوف، عندما يكون الأولُ مؤنّثاً بالتاء المربوطة. مثال ذلك: «سبيكةُ مقاوَمة» و«سبيكةٌ مقاومة». وللتخلص من احتمالات الخطإ في التحريك، قلنا: «سبيكت مقاومة» في حال الإضافة، و«سبيكه مقاومة» في حال الصفة. وننبه هنا أنّ لفظ التاء يُثبت في لغتي الكتابة والكلام في حالة الإضافة، ويُلفظ هاءاً في حال الصفة في لغة الكلام. فيقول الناس: «سبيكت مقاومة» و«لجنت استشارة» و«مجلت **المدى**» في حال الإضافة. ويقولون: «سبيكه مقاومة» و«لجنه استشارية» و«مجله أسبوعية».

جـ ـ اختيار صيغة مفعول من الثلاثي لنفس الغرض، فنقول: «موصول» بدل «موصّل» لئلا يختلط بالموصل، و«منتوج» بدل «منتج» لتمييزه عن فاعله «منتِج». واستعملتْ **الف ليلة وليلة**: «مطلوق» بدل «مُطْلَق» لتمييزه عن المصطلح الفلسفي.

د ـ الاستفادة من اختلاف كتابة الهمزة للاستغناء عن التشكيل. مثال ذلك: «منشئ» و«منشأ». وهذه في معنيين: بالضم على المفعولية وبالفتح على اسم المكان. ويتمايز بالجمع: منشآت ومناشئ، ومطفئ ومطفأ، ومرجئ ومرجأ... الخ. على أننا ثبتنا الحركات اللازمة في المداخل لتكون مرجعاً لضبط التلفظ وفسحنا المجال للمعنيين والمختصين للتخلص من التشكيل بالصياغات التي اخترناها. ولنا أسوةٌ بالمعاجم الإنجليزية التي تُثبت اللفظَ في المداخل لتكون مرجعاً لضبطه، لأنّ المفردة الإنجليزية، كالعربية، لا تُكتب كما تلفظ.

٧ ـ نظراً لخضوع المعاجم للقواعد الأكليروسيّة فإنّها تتزمت في التزام اللفظ كما تقرَّر في العصر الجاهلي، وقد تفتئتُ على اللفظ الحقيقي لحساب لفظٍ مرجَّح، مثل كسر نون «نفط» وهي مفتوحة على ألسنة الناس وفي كتب اللغة الأم. وقد راعينا في تثبيت اللفظ لمفردات كثيرة طريقةَ لفظها عند المعاصرين. وهذه قائمة ببعضها للإيضاح:

«ثَقْب» بضم الثاء؛ والمعاجم بفتحه. والفتح للمصدر لا للاسم حسب القاعدة.

«عرض» بضم العين؛ والمعاجم تفتحه، فيختلط بمصدر «عَرَض يعرض عَرْضاً».

«بُنية» بضمّ الباء كما نصّ عليه **المخصص**؛ والمعاجم تكسرها.

«بكرة» بسكون الكاف وفتحها؛ والمعاجم بفتحها فقط.

«ثغرة» بفتح الثاء؛ والمعاجم تضمها.

«لعب» بكسر اللام وسكون العين؛ والمعاجم بفتح اللام وكسر العين، وكلاهما فصيح، واخترنا الأول لأنه الشائع عند المعاصرين.

«معدن» بفتح الدال؛ والمعاجم تكسرها.

«فوهة» بفتح الفاء وسكون الواو أو ضم الفاء، والمعاجم بفتح الفاء وتشديد الواو.

«وحدة» بكسر الواو؛ والمعاجم تفتحها.

«ثقل» بضم التاء وسكون القاف؛ والمعاجم بكسر الثاء وفتح القاف.

«فتحة» بفتح الفاء؛ والمعاجم تضمها.

«سعة» بكسر السين؛ والمعاجم تفتحها.

«صمام» يلفظه الناس بفتح الصاد وتشديد العين، وفي المعاجم بكسر الصاد وتخفيف الميم.

«سدّاد» كصمّام عند النّاس؛ وفي المعاجم «سداد» بالكسرة للتخفيف.

وتستعمل المعاجم في النسبة إلى «تجزئة»: «تجزئي»، وإلى «تجربة»: «تجربي». والعرب حينما تستثقل لفظاً قياسياً تروغ عنه إلى صيغة سائغة ولو خالفت القاعدة. وبهذه السابقة قلنا: «تجزيئي» و«تجربي».

* * *

إنّ تجاوز العُقَدِ الأكليروسية في التعامل مع اللغة، والاتجاه لتطويرها على أسس الواقع والمَطالب مع مراعاة المذاق السائد في لغة الكلام، يوفران شروطاً أولية لعملٍ معجميٍّ يستجيب لحاجات اللغة العلمية ويفتح لنا باباً واسعاً لوضع المصطلح المفرد مقابل المصطلح المفرد الأجنبي، ولاسيما بعد أن أمطنا اللثام عن سر الهيبة التي روَّعتْ اختصاصينا ومترجمينا من اللغة الإنجليزية لتَظْهر كما هي في زقاقيتها وبساطتها. وقد سبق للبحث العلمي أن أماط اللثام عن قدسية اللغة العِبْرية لينقلها من الوحي الإلهي إلى الصناعة البشرية. ونحن بالمثال نكاد أن نقطع خطوةً مماثلة بإخراج لغتنا من حصانة الأكليروس التوقيفية إلى ساحة الاصطلاح البشري لئلا يعرضوا على صنّاعنا أن يتكلموا بلغة المعلّقات تاركين لأهل النحو أن يرفعوا وينصبوا وأن يستعملوا في خطبهم ما يفهمه زملاؤهم: فيجْمعوا «الساق» على «سوق»، و«السائق» على «ساقة»، و«القطار» على «قُطُر»، ويقولوا «دينونة» بدل «إدانة»، و«تقويم» بدل «تقييم»، و«طالبي» بدل «طلاّبي»، من غير أن يفرضوا تحكماتهم الاستزلامية على باحثينا وطلبتنا.

دمشق (العراق)